من الومضة إلى الومضة الشارحة

د. بهاء الدين محمد مزيد

رئيس قسم اللغة الإنجليزية،

جامعة سوهاج، مصر

يتواصل نضج الومضات على صفحة سنا الومضة القصصية واستشرافها آفاقا جديدة. وتنتقل الومضات من مرحلة الاتقان إلى مرحلة التجريب، من الكتابة إلى مرحلة الكتابة عن الكتابة، من الومضة إلى الومضة الشارحة، إذا جاز التعبير. على سبيل التمثيل لا الحصر هاتان ومضتان الأولى لجمال الجزيري والثانية لبسام حميدة.

عكس (جمال الجزيري)

-هل لُغتي مُبهَمَةٌ؟

-بالعكسِ، واضحةٌ جدًّا.

-لماذا تتجاهل تعليقاتي بشأن نصِّكَ؟

-أنا! لا أفهمُكَ.

***

مطر مطر (بسَّام جميدة)

يتفنن في الكتابة عن وقع حبّات المطر على نافذته، ويتناسى وقع الخناجر على وطنه.

في الومضة الأولى طباق بين اللغة المبهمة واللغة الواضحة، بين الفهم والتجاهل، غير أنّ فيها إشارة مهمّة إلى مسألة مهمة تتعلّق باللغة والمعنى وهي المسافة بين معنى الجملة ومعنى المتكلّم أو المستمع، أو ما يريد المتكلّم/ الكاتب للجملة أن تعني وما يبلغ المستمع أو القارئ من ذلك المعنى. معنى الجملة هو ما يتعارف عليه النّاس من دلالات المفردات منفردة وحين تجتمع في نسيج لغوي. إذا قلت "الجو بارد هذا المساء" كانت الدلالة مباشرة "واضحة" على انخفاض درجة الحرارة ذلك المساء. غير أنّ بوسع الكاتب أو المتكلّم في سياقات متباينة أن يضيف إلى تلك الدلالة دلالات أخرى نفسية أو وجدانية أو اجتماعيّة. هذا ما ذهب إليه المسئول حين أجاب "بالعكس واضحة جدّا" إذا كنت اللغة "واضحة"، فلماذا "يتجاهل" المسئول تعليقات السائل؟ هنا ربط جائر بين وضوح لغة نصّ ما، وضرورة التعليق عليه، وكأنّ الوضوح مقدّمة منطقيّة "آلية" للتعليق أو التفاعل مع ما هو واضح. من هنا تأتي دهشة المسئول "أنا!" ومن هنا يقع عدم الفهم –

والمراد هنا عدم فهم مقصد السائل، لا دلالات الكلمات في ذاتها مجرّدة من الدافعية البشريّة.

في الومضة الثانية توتّر بين الكتابة بوصفها فعلا شخصيّا جماليا، متعة في برج عاجيّ، والكتابة بوصفها التزاما ومسئولية اجتماعية، اشتباكا مع الواقع وانغماسا في هموم المجتمع والنّاس. تتصادى فكرة الومضة مع أسئلة قديمة جديدة، منها سؤال الفن للفن والفن للحياة. في الومضة كتابة أخرى عن الكتابة لكن على نطاق أوسع مما نجد في ومضة جمال الجزيري. وفيها طباق بديع بين "حبّات المطر" و"الخناجر"، وبين المحدود الشخصي في "نافذته" والعام الواسع في "وطنه" مع أنّ "النافذة" و"الوطن" لا تنفصلان عن هاء الكاتب الغائب. وفي الومضة عمد وقصد في "يتفنّن" و"يتناسى" فليس "التناسي" كالنسيان وليس "الفنّ" كالتفنّن.

كان في مقدور الومضة الثانية أن تصبح أكثر تأثيرا لو لم تقع في شرك القطبية واختزال القضيّة في لونين لا ثالث لهما ولا درجات بينهما ولا تداخل: لون النرجسية المنعزلة ولون الاشتباك الدامي مع هموم الوطن. تستطيع الكتابة عن وقع حبّات المطر على نافذة أن تشير إلى ما يقع خارج البيت. ويستطيع وقع الخناجر على الوطن أن ينتهي إلى هموم شخصيّة صغرى تصبح في مجموعها تعبيرا عن هموم الوطن وأزماته.